..وطلع فجر الذئاب !

التحرير

انتهى جوف الليل . فعاش فى ظلماته منتظرا نوبة الفجر ونهاية عذابه . فغادر به الفجر . وتفجرت عيونه عن صباح بيت الضياء . وفى ظلمة النهار الظلماء تعسعست الذئاب . صالت وجالت وغربلت . لتلتم طعمها وتشبع جشعها . وبوحشية همجية انقضت على الرجل . نهشت لحمه . وقطعت أمله . وصرعت حلمه . فحمل فوق ظهره الوانى طيفه الميت . وتاه فى جهنم ليله الحالك فوق رمال حياته المحرقة

الزوجة ان يوزع الزوج على الفقراء . ويحرم عياله منها فانتابت بين الحرب كعائلة كل البيت . بين « حزب الفقر » الذى يرأسه تولستوى ويقيم امه معه . و « حزب الغنى » الذى يرأسه سونيا . ويضم باقى أولادها وبناتها . وانكبت « الثوات الغنية » . فى تقديم ملعقة الفقر . وتسقى مبادئ فيلسوفه . فاستسلم تولستوى . وتنازل عن كل أملاكه وترك زوجته وعياله التسعة . وبلغت حسابات مايزال ٥٨٠ الف جنيه . تضرى من جنيهات اليوم . أما الخبير الوحيد الذى أجزم فكان فأس . كما ذكرت فى الأسبوع الماضى .

لآلئ من حزن وشجن !

انطوى تولستوى على نفسه كالمحارة . وظل الفرح أسير لآلئ من حزن وأسى . وأخذ الأشجان تضرب صدره بيديه . فانفجرت الأوجاع ضلوعه وكسرتها . لم يحتمل . وظل على حدوده . فتحجرت الدموع من ينابيع عينيه . رحمه بقلبها وعطفها . إنه النساء . انه الحنين . إنه يبكى لبنوى سلالته . ليسقى سيول مرارته أزهار أيامه السوداء . وانهيار زهاده الخضراء . إنه يعتنى فى أعماق الرواعية . ويتطلب على جمر اللهفة الأمل يعيش فى وجهها وتحب أمله فيه . يحمل عليه بقسمة اليأس . وتسلك عنه مسلك العيش وتطلقه .

إن صدمته بل صدماته أصابته . فأبطش اذلال إلى قلبه . وما أحست الحرمان إليه . إنه يتكره الغنى لما فيه من هوان . ويحب الفقر لما فيه من صون . لقد تلك الحرب العائلة سبب أملاكه وأمواله . وإذا بيع الم من ثروة الغنى . فالغنى هو الفقر . والبؤس هو الخير . إنه يبغ . يبغ السلام . الغنى الى ميدان المعارك الطاحنة . يسب بكلاب زوجته وعياله على المال . يحتقرهم ويزدريهم بعد من أجل اقتناء ارزه وبلاكه . وامس أمسه والغد غدا وان حوم الذباب لايشبع أبدا . وفقرا الذى لايزيون ابدا .

فى عاش مات . وفى مات قام . فاخذ فى الثانية مكان الأولى عن زوجه طافح . ومن الفقر ما وطأها فعل الطريق وحوم الوقح . ولاسبيل للنجاة فى الغنى إلا بأخذ الكفاف منها . ومن رضى بالكفاف . كفى عوارض الأفلاس . فالقناعة رأس الغنى .

وليت سونيا وعياله يستجيبون إلى مواعظه ويستوعبونها . ليتركوا حطرفهم وفلوسهم أن الفقر هو ملك وباء . يجلس على عرش الفقر أربعة بالواحد . يبعدا بعدا عن مذاهب وشرهم وأهلاك وقيوده الأشياء . لأن الفقر حر الطريق . وطلق الفضاء . ومسكن الصحراء وفرحه العرى . وحلته جواهريه . فهو طهيش الظهر من كل حق . منطلق الرؤية من كل رق . لاتوجه إليه عوائل

تسليات

الذاتيات . ولايطمع فيه عياله وزوجته . ولاينتظر من الربيع ازهاره ولا من الخريف ثماره . ولاى وقت اخصاء لحمه وشعيره . ولاى وقت دفع الضرائب زيادة مصلحة الضرائب . وعلى حسب قطرات عرقه . وفى حبه قطرات دمه . إنما الفقير ممكن يوجد بيديه . ولايوجد من يديه

تتجمد بالنهار عضلات القصوص كيلا تعرض للافلاس . وتتوقاه بالليل الذئاب حتى لاتصاب بالأنيميا وفقر الدم . فهو أبدا إما غانم وإما سالم . هذا على خلاف الغنى الذى هو أبدا كالحم غنيمة تطمع فيها كل يد سلالة . وفريسة لنهبها كل نفس خبيثة

باليد لم ينسحب من ساحة المعركة العالمية . وواصل نضاله ضد سونيا و « حزب الغنى » بشجاعة وطولة . ولكنه بضعفه وحبه لعائلة وزراعه . فاهومت مبادئه وانكسر قلبه . ولولا أن الكبد حصنة من حصان النساء لانزلقت . لأحرق أمواله وضيعاته . وترك أسرته . وحياه بلاد الله الواسعة مشوقا للحرية . ولكنه ولد بحب الغير . ويرزق بخط غادر . ان الرحم يعانده ويعاديه . ويعارضه فى طريق كل مراد يطلبه . وانل يرغبه . يطلب منه الخروج . ليحبل عليه بجفاوه . يطلب منه تهمة الفقر . فيريبه بتهمة الغنى . يتوسل إليه أن يتحمه حق الحياة فى غير مدفع فيفرض عليه واجب الحياة فى غير فاجس . يتوسل إليه أن يهديه إلى طريق الفاقة ليتضور جوعا . فيهديه الى حل الشبع ليأخذ يتخمه ويمضى شبعا . إن الدهر يلعب له بالرصاص حيا كان وابيا وضع رأسه وقدميه . إن جرب منه وقوع واحد انتقاه والعناه . وجعله أمامه يفتح له باب الفناء والرجاء .

إن الزمان لايستحق منه حسن الظن . بل يستأهل أن يهينه حين . لأنه يعين النساء على الرجال والأقوياء على الضعفاء والأغنياء على الكرام . والزوجة على زوجها . والأولاد على أبيهم . إنه يتضرع إلى الله . ويسأله . أن تهب ريح الفقر على بيته . ويطلع كم الموس على أمواله . ولكن النساء غلبة فى فعالى إمكانه وقد استعدت زمانه . وربيته من تعلقت أمه وتحجرت مطامعه

مشورة العذاب

زمان يوم احتساب . وطلع فجر الذئاب . عادت المفترسات العاتية حول قصر وتوريج ثروة وأملاك تولستوى على زوجه وعياله التسعة . وكانت الغنيمة . شلت النساء جبانيا وعرت صدرها . انفجرت أوراق الأوبئة وتناثرت على الأرض

أمير أمراء الكلام

عذراء حتى الموت !